"الشروق" تستطلع عالم "الزطلة" في قلب العاصمة

سكوت.. نحن داخل "مملكة المحشاشات"!!

"الصراصير والباتيكس".. للفقراء والمعوزين! مدمنون نعم.. ولكننا لسنا مجرمين!!

إنها رحلة مؤلمة كشفت لنا حجم البؤس والكارثة التي يتخبط فيها شبابنا من الذين لم يجدوا عملا ولا مرافق ترفيه ولا هيئات تحتويهم وتستوعب مشاكلهم فهربوا الى الشارع الذي احتضنهم بالسموم وجعلهم يشكلون مملكة مخيفة لتجارة واستهلاك المخدرات، مملكة لها مصطلحاتها وتقاليدها في الترويج لهذه السموم امام خيبة أمل كبيرة للمجتمع وعجز السلطات على وضع حد لهكذا أسواق تبتلع كل يوم المزيد من الشباب لترمي بهم في اتون الضياع.. لهذه الأسباب قررنا أن نتبع رائحة "مدام كوراج" و"الروش" باتجاه شوارع يشاع أنها أوكار المدمنين ومصدر رزقهم وادمانهم، ونتنقل هذه الرائحة بأمانة للقراء، في رحلة أبطالها من الشباب والمراهقين وحتى الشيوخ ربما يزرعون الخوف، الجنون، الادمان ولكنهم كما قالوا لنا "نحن مدمنون نعم.. ولكننا أبدا لسنا مجرمين"!!.

روبورتاج: فضيلة مختاري

كنا برفقة أحدهم

اعتزل عالم الزطلة منذ زمن ولا يزال يحتفظ بصداقات حميمية بينه وبين أصدقاء الأقراص المهلوسة، استطاع أن يقنع البعض منهم بضرورة التخلي عنها، منهم من استجاب ومنهم من تمرد على صداقته، كما رافقنا شرطي في زي مدني كان قد أعد تقريرا عن واقع الشباب المدمنين في العاصمة.

شوارع المخدرات.. ليست آمنة

باب الواد، القصبة، لامونطان، صالومبيي، الحراش، الكازيف، وحتى شوارع حيدرة، دون أن ننسى " كولومبيا الجزائر" وسط بلكور... وحتى في معاقل الإسلاميين القبة، الكاليتوس، الأربعاء... إنها رائحة المخدرات باتت تنتشر عبر كامل العاصمة، تزداد حدتها كلما اتجهنا نحو الأزقة الضيقة حيث أبناء الفقراء ضحايا التهميش، البطالة، الطلاق، وسواء كان الحي راقيا أو شعبيا... المخدرات تستهوي الجميع لا تفرق بين أبيض أو أسود، غني أو فقير، فأمام نشوة الحية الحمراء يتساوى الجميع، كانت في ذاكرتنا خريطة لأهم المناطق في العاصمة والتي تعتبر أماكن مفضلة لتعاطي المخدرات سلمت لنا من طرف خلية الأمن الوقائي التابع للأمن الحضري لمركز درارية، غير أن معلومات صاحبنا عن مكان تواجد مدمني المخدرات كانت أكثر دقة، لا لأي شيء فقط لأنه مر من شوارعها، سرنا معه وكان علينا أن نختار أكثر الأماكن خطرا فنحن رفقة واحد تاب منها ولكنه كان شيخا لا يرفض له طلب، بدأنا بالأحياء الفقيرة، راحت تلاحقنا النظرات وتطرح الكثير من علامات الاستفهام ونحن في "السكوار" كان سهلا علينا محاورة المراهقين حتى وهم تحت تأثيرها مثلما كان سهلا علينا الاقتراب من شاطئ الصابلات ومحاورة "عشاق الباتاكس" لكنه كان صعبا جدا علينا اختراق "المحشاشات" وهي عبارة عن مقاهي معروفة برواد المخدرات لا يدخلها غير الرجال.. عفوا أقصد المدمنين.

تشترك شوارع المخدرات في كل من باب الواد وساحة الشهداء، السكوار، بلكور في استحواذها من قبل أبناء المنطقة الأصليين وأغلبهم ضحايا حالات اجتماعية مثل الطلاق، الفقر، البطالة، الإرهاب.. في حين تشترك الأحياء البسيطة كباش جراح، لامونطان، الحراش... في سيطرة الوافدين الجدد من سكان المناطق الداخلية مثل البويرة، المدية، المسيلة... أما عن المناطق التي دخلها المدمنون حديثا في العاصمة مثل برج الكيفان، باب الزوار، الدويرة، دالي إبراهيم... فبدأت في الآونة الأخيرة محل اهتمام من قبل المهاجرين في الجزائر من الجنسيات الإفريقية وحتى الآسيوية والعربية كمنطقة باب الزوار التي تحولت إلى منطقة للجنس الأصفر، لكن كيف يعيش هؤلاء، متى يكونون في لحظاتهم العادية ومتى يكونون خارج مجال التغطية من خلال الادمان على انواع كثيرة من المخدرات؟.

مدام كوراج، الزرقا، الحمرا، الروش، الفلوكة...

مصطلحات وألفاظ كثيرة كنت أسمعها طيلة بحثنا عن عالم الإدمان والمخدرات، منها من استطعت أن أضبط أسماءها ومنها من غابت عن ذاكرتي، كل منها لها ميزاتها الخاصة وتختلف درجة مفعولها عن الأخرى ويختلف معها الثمن ونسبة تجرعها فكما يقول "رضا": "كل شيء بالحساب" منها من يتناوله المدمن رغبة في النسيان والهروب من المشاكل مثل حبوب "تيميستا" أو "لعقرب" كما تسمى في أوساط مدمنيها، وغالبا ما يتناول أصحابها في درجاتهم الأولى من الإدمان ما بين حبة إلى حبتين (حسب المعلومات الخاصة جدا التي استقيناها من بعض المدمنين) وتزداد درجة الجرعة إلى 10 حبات كاملة في اليوم في حالة متقدمة من الإدمان.

> **آخر ما وصلت إليه الوصفات المخدرة في عالم المخدرات "مسحوق الكافار" وهو نوع من الصراصير الكبيرة!**

أما عن سعرها فهي تتراوح ما بين 50 و65 دج للحبة الواحدة، تأتي بعدها "ديازيبام"، وهي التي تسمى وفق القاموس الجزائري بـ "الزرقا" أو كما يفضل الأغلبية تسميتها بـ "مدام كوراج" دفعني الفضول إلى رؤيتها عن قرب، كان ذلك في إطار حجزها من طرف مروجيها في منطقة عين النعجة، يقدر سعر الحبة الواحدة منها بـ 80 دج ولها تقريبا نفس المفعول مع "الروش" تأتي بعدها الحقن، وعلى غرار صديقتها من الحبوب تضم تشكيلات متنوعة من المصطلحات منها "الدمعات" ويتراوح سعر القارورة منها ما بين 700 دج و1000 دج، ويخضع سعرها إلى عامل الندرة والتوفر في السوق، وقد يصل سعر القارورة إلى حدود 1500 دج في حالة فقدانها، وهو ما يجعل مدمني هذا النوع من المخدرات في حالة يرثى لها، طبعا هذه الأسعار تختلف من سوق إلى آخر ومن بائع لآخر، وأشهر أنواع المخدرات السائلة "ريفوتريل" وهي ذات تأثير عال على مدمنها، ويمكن أن يصل هذا الأخير إلى درجة تناول قارورة واحدة بكاملها في يوم واحد، أما أخطر أنواع الأقراص المهلوسة فهي "برشام ديازيبام" وهي المعروفة باسم "الفلوكة" أو "لكنيطة" ويطلق عليها آخرون اسم "كبسولة" وتحتوي هذه الأخيرة على مواد جد مأثرة على جسد الإنسان، فمن يتعاطى هذا النوع من المخدرات لمدة قد وصل إلى أعلى درجات الإدمان ويصعب لحد بعيد الخروج من دائرته، ويتراوح سعرها في السوق ما بين 150 و250 دج للقرص الواحد، وتعتبر من بين الأقراص النادرة في السوق وتباع حسب الطلب.

حاولنا الاستفسار عن سر هذه الأسماء لحظتها لم أستطيع إخفاء ضحكتي عندما أخبرني أحدهم بكل جرأة .. سماوها جدودنا" أما عن مادة الهروين فهي الأغلى ثمنا حيث يقدر سعر 80 غ منها بـ 7000 دج، وطبعا لا توصف إلا لأبناء الأثرياء، كما باتت مادة الأفيون تستهوي هي الأخرى جيلا من المستهلكين حيث تقدر الأرقام الرسمية لدى مصالح الأمن بحجز أكثر من قنطار من هذه المادة المخدرة، نظرا لسهولة إخفائها بين مختلف المواد .

الصراصير و"الباتاكس".. لمن لا يملك نقودا

آخر ما وصلت إليه الوصفات المخدرة في عالم المخدرات "مسحوق الكافار" وهو نوع من الصراصير الكبيرة! لا تندهشوا فأمام الرغبة في الإدمان يمكن للمدمن أن يفعل أي شيء للحصول على نشوة المخدرات، يقومون بإمساك هذا النوع من الصراصير ثم يقومون بتجفيفه تحت أشعة الشمس ثم سحقه أو طحنه حتى يصبح عبارة عن مسحوق بني اللون يوضع داخل سجارة الزطلة ويمنح نفس درجة الإدمان كأي نوع آخر من المخدرات، يقدر سعر كمية صغيرة منه قد لا تتعدى 100 غ بـ 120 دج، فلا تستغربوا إن وجدتم أطفالا يطاردون الصراصير أسفل العمارات في الليالي المظلمة.

ثاني مادة يستعملها المدمنون كنوع من المخدرات "الباتاكس" أو الغراء ذا التركيز العالي يضعونه في أكياس بلاستيكية ويستنشقونها، أصحاب هذا النوع من الإدمان ينتشرون في المساحات العمومية وأغلبهم من المتشردين نراهم في شوارع ديدوش مراد، العربي بن مهيدي، وبالقرب من الشواطئ، ليسوا خطرين، أغلبهم يمارس مهنة السرقة والتسول.

.. ولهم طقوسهم الخاصة في العيش

شعور بنشوة لها ميزة خاصة تدفع للإحساس بأنك قوي مرغوب فيه، تأخذك إلى الرغبة في الغناء، الرقص، الضحك.. والإقبال على الحياة ونسيان الماضي... باختصار الهروب من الواقع المر إلى عالم أشبه بالأحلام.. إحساس المدمن لا ينقله هو إليك وإنما تلمحه من تصرفاته، نظراته، كلامه، وحتى أنفاسه، وأنا بينهم كنت أتذكر صورة ابن جارتنا خالتي "حليمة" كان يخرج من البيت في حالة يرثى لها صراخ، هيجان، تكسار، ووعيد ليعود إليها بعد لحظات لا أكثر "يما لعزيزة راني جيعان حاب ناكل" يسلم على ذلك ويداعب ابن جارتنا في مروزه نحو بيته.

في مملكة الحشاشين

يصنف المدمنون أنفسهم بأنفسهم إلى فئتين، الفئة الأولى تلقب بـ"الريح" وهم الذين يقومون بمشاكل وشجارات لإثبات "الرجلة" داخل محيط عيشهم وأغلبهم من المراهقين أو الطايشين، وثاني فئة هم "العقال" أو "الخلوي" وهم ممن يقبلون على تناول المخدرات لنسيان واقعهم المر وللترويح عن أنفسهم، يعرفون بعضهم جيدا قد يتجرؤون ويعترفون بأنهم مدمنو مخدرات، كما قد يدفعهم الخجل إلى تناولها خفية، يطلق على جماعات مدمني الزطلة لقب "النسا" في حين يطلق على مدمني الأقراص المهلوسة لقب "التخربيش" وكل جماعة تضم أشخاصا يلقبون بـ "الصنايعية" وعلى كل جماعة قائد وزعيم يسمى "المعلم" بيده كل شيء وهناك عنصر حيادي في المجموعة يسمى "الشيخ" هذا الأخير الذي يحضى باحترام كبير سواء لعامل السن أو لخبرته الطويلة في الزطلة دوره يتمثل في حل النزاعات والخلافات بين "المعلمين الكبار" وأوامره تنفذ دون نقاش، ربما لأن له خيوطا كثيرة في الحصول على الزطلة.

> **في مملكة الحشاشين يصنف المدمنون أنفسهم بأنفسهم إلى فئتين، الفئة الأولى تلقب بـ"الريح" وهم الذين يقومون بمشاكل وشجارات لإثبات "الرجلة"**

وهناك فئة "الهاي هاي" نجدها في الشوارع الراقية داخل الجامعة والمدارس الخاصة وفي الملاهي الليلية يتناولونها في أماكن مثل الكازيف أو على شواطئ البحر ولا يخجلون من أنفسهم ومنهم حتى فتيات حسب أقوال أحد أفراد مصالح الأمن.

مملكة المحشاشات.. في المقاهي والزوايا المظلمة

يتجرؤون ويدخلون بها إلى المقاهي، كان يشير بيده إلى إحدى المقاهي المشهورة بأن روادها "زطايلية" من نوع خاص يفضلون تجرع بعض الأقراص بنشوة القهوة لتمنح لها ذوق خاص، وبالتالي نشوة إضافية ويطلق على هذه المقاهي لقب "المحشاشات" يقوم المدمن بسحق قرص المخدرات داخل فنجان القهوة يقول محدثنا "إن هذه الطريقة تزيد من تركيز الأقراص وتطول مدة تأثيرها، طبعا لم نتجرأ وندخل إلى "المحشاشة" "قالمقهى في العاصمة كما في كل المناطق الداخلية لا تزال حكرا على الرجال، فما أدراك بمكان يعتبر وكرا للإدمان، كنا نراقب من بعيد ذلك يتناول الروش وآخر مدمن على الدمعات وآخر سكير وزطايلي يعرفهم جميعهم، سألناه كيف يحصلون عليها؟ إذ أنهم لا تبدوا عليهم علامات المافيا، وفي هذا يقول محدثنا كثيرة هي الطرق التي كنا نحصل بها على المخدرات مثلما هي كثيرة أسماؤها منها "التخباش" وهي عبارة عن سرقة جزء من كمية المخدرات من أصحاب البارونات الكبرى ومن ثم تسويقها في الأسواق الصغيرة، "الترقاد" وهي طريقة أخرى يستحوذون فيها على المخدرات بعد وصولها عبر الحدود المغربية وتلقب بهذا الاسم لعلاقتها مباشرة ومصالح مكافحة تهريب المخدرات سواء الشرطة، الدرك، الجمارك، فبعد مغافلتهم للجمارك عبر الحدود يقومون بـ "ترقيد اللعب" وكأن شيئا لم يحصل، فهم يخففون من نشاطاتهم ولا يتاجرون بالمخدرات إلا بعد هدوء العاصفة كما يقول محدثنا.

مارادونا، كولومبيا.. وعبد المومن خليفة

ارتبط اسم أشهر لاعب كرة قدم في العالم بعشقه الكبير للمخدرات، اسم "مارادونا" في الجزائر هو اسم لنوع من المخدرات يقولون إن مارادونا الكرة كان يتناولها قبل إدمانه على الكوكايين، ومدمنو كولومبيا العاصمة يرون فيها تقليدا جميلا لأشهر لاعب كرة قدم، في "السكوار" سمعنا بقصة المدمن "مارادونا" يلقبونه بهذا الاسم لا لأنه يحسن جيدا لعب الكرة بل لأنه مدمن حتى النخاع دخل المصحة للعلاج وكاد أن يشفى من الإدمان ثم خرج منها ليعود إلى الشارع من جديد ليدمن بقوة عليها.

وبعيدا عن حكايات مارادونا الأرجنتين، عبد المومن خليفة صنع هو الآخر حكايات لدى المدمنين بعد ظهوره على قناة الجزيرة يقول أحد المدمنين "حركاته، لون عينيه، شفتيه.. علامات لنوع من المخدرات، إننا نعرف بعضنا جيدا..." ثم يضيف قائلا: "عبد المومن ويزطل، شفتونا غير حنا، علاه كي معنديش دراهم..!".

... كنا هناك بينهم سمعنا منهم أحاديث "الروش" و"الزرقا" و"مدام كوراج" يسرقون نعم، يشتمون دون سبب، ولكنهم أيضا يذرفون الدموع، لهم مشاعر البشر ربما مدمنون ولكنهم أبرياء...
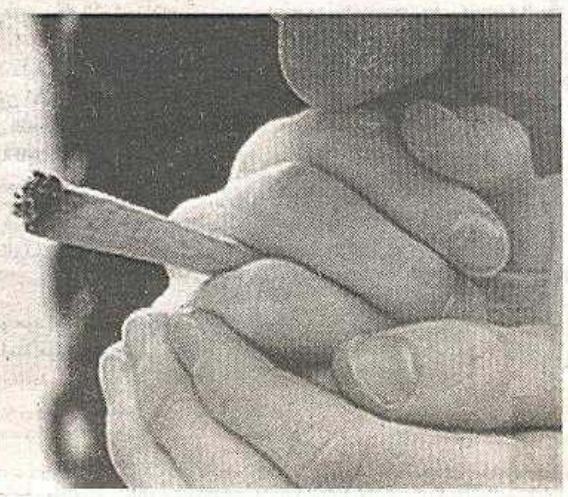
عندما تركنا كولومبيا الجزائر، بلكور، كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية زوالا ذات يوم خميس كان هناك "مراد" لم يكن يصدق أننا صحافة، بكل تلقائية قال لي "اكتبي اسمي في الجرنال متساينيش... اسمي مراد".